﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾

[نوح: 13 - 14]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

التكوين بالأطوار مضرب المثل لنجاعة الاستغفار

بعد أن ذكَرَ النَّظمُ الجليلُ دعوتَهُم إلى التَّوبة والاستغفار، وما يعودُ عَلَيهِم من خيراتٍ بإيمانِهِم واستغفارهم، استعرَض لهم تمحيص ما يشكّون به ويستبعدونه من تحقيق الوعدِ بخَيْرِ الدُّنيا بالاستغفار؛ باستنكار تجاهلهم لما يعلمونه بديهة من طروء الأطوار والأحوال عليهم من النشأة إلى الموت، وما يحصل من تبديلٍ للأحوال، فلئن كان حالهم يتغيّر بالأطوار، فما بالهم لا يوقنون بنجاعة الاستغفار في تحصيل الخيرات، وجني الثمار؟.

ومناسبة أخرى؛ وهي أنّ التأديب الخُلقي بالاستغفار ومكارم الأخلاق، متبوعٌ بالتّأديب العِلميَّ والفكريّ بالنظر في النّفس والتفكر في أحوال العوالم العلويَّة والسُّفليَّة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

3) ﴿وَقَارًا﴾: (وقر) أصلٌ يدلُّ على ثِقَلٍ في الشَّيء، يُقالُ: وقَرَ الشَّيْءُ يَقِرُ وقْرًا، أيْ: ثَقُلَ[2]، والوَقْرُ: الثِّقَلُ في الأُذُنِ، والوِقْرُ: الحِمْلُ[3]، والوَقارُ: الحِلْمُ والرَّزانة[4]، والوَقارُ: العَظَمَةُ، والتَّوقيرُ: التَّعظيم[5]، وهو في الآية معناه: التَّعظيمُ والإجلالُ[6].

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 254.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقر).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، والزبيدي، تاج العروس: (وقر).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقر).
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 18/ 303، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 119.
(6) طنطاوي، التفسير الوسيط: 15/ 118.

والوَقارُ: السُّكونُ والحلمُ، و(الوقار) في قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: التَّوقير والتَّعظيم[1].

4) ﴿أَطْوَارًا﴾: (طور) أصلٌ يدلُّ على الامتدادِ في شيءٍ مِن مكانٍ أو زمان[2]، والطَّوْر: التّارةُ، يُقال: طَوْرًا بَعْدَ طَوْر، أي: تارةً بعد تارةٍ، والنّاسُ أطوارٌ، أي: أصْنافٌ، على حالاتٍ شَتَّى، والمَرْءُ يُخلَقُ طَورًا بعد أطوارٍ[3]، والمراد به في الآية الكريمة: شيئًا بعد شيءٍ، ومُختَلِفين على حالاتٍ شَتّى[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بدّل نوحٌ عليه السلام خطابه مع قومه ووبّخهم[5] على غَفْلَتِهم عن عظمةِ اللّه تعالى وتحقيق وعده، مع أنَّه خَلَقَهم في أطوارٍ مُتَدَرِّجة، مِن نُطْفَةٍ إلى علقَةٍ، ثُمَّ مضغةٍ، ثُمَّ عظامٍ كُسيَت لحمًا، في إشارةٍ إلى عظمة الخَلْقِ والإبداعِ[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغَةُ فَصْلِ جُمْلَةِ الاستفهامِ:

إثـارَةُ السُّؤال لإيقاظِ الغافِلِ

فُصِلَ قولُ اللّهِ تَعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ استئنافًا بيانيًّا، فقد سيقَت الجملةُ؛ لبيان ما قالَ لَهُم نوحٌ عليه السلام بعدَ دَعْوَتِه لَهُم إلى التَّوبة والاستغفارِ[7]، وكيفَ "بَدَّل خطابَه مع قومه من طريقةِ النُّصح والأمرِ إلى طريقةِ التَّوبيخ"[8].

دلالَةُ الاستِفهامِ بالأداةِ ﴿مَّا﴾:

استفهامٌ يُنْكِرُ عـلى الـقَـلْـبِ غفلتَهُ

﴿مَّا﴾ استفهاميَّة لطلَبِ التَّعيين، وقد عبَّر النَّظم الجليلُ بالاستفهام

(1) الواحدي، البسيط: 22/ 255، والسمين، عمدة الحفاظ: (وقر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طور).
(3) الخليل، العين: (طور).
(4) الواحدي، البسيط: 22/ 257.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 199.
(6) جماعة من العلماء، التفسير الميسر: 1/ 571.
(7) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 439.
(8) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 199.

في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؛ لقصدِ الإنكارِ والتَّوبيخ[1]، فهو سؤالٌ "عَن أمرٍ ثبتَ لَهُم في حالِ انتفاءِ رَجائِهِم توقيرَ اللهِ، والمقصودُ أنَّه لا شيءَ يثبت لهم صارفٌ عن توقيرِ اللهِ، فلا عُذْرَ لكُم في عدم تَوْقيرِه"[2].

فائدةُ القيد ﴿لَكُمْ﴾، وبيانُ ملازَمَتِها للحاليَّة:

انتفاءُ أسبابِ رجاءِ رضا اللهِ تَعالى بالإيمان والطّاعة مظِنَّةُ الإنكارِ

اللّام في ﴿لَكُمْ﴾، من قول الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، دالَّةٌ على الاختصاصِ، وهي متعلِّقةٌ بالخبَرِ المَحْذوفِ لاسم الاستفهامِ ﴿مَّا﴾ - فإنَّهُ في موضعِ رفعٍ مبتدأٌ -[3] والكافُ للخِطابِ، وهي عائدةٌ على قومِ نوحٍ، وهذا التَّركيب - (ما لك) - ونحوُهُ يردُ بعدهُ حالٌ، نحو قولِ اللّه تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: 49]، وجملةُ: ﴿لَا تَرْجُونَ﴾ في موضعِ الحالِ من ضميرِ المُخاطَبينَ.

دلالَةُ التَّعبير بفِعْلِ الرَّجاء مادَّةً وصيغةً:

انتفاءُ الرَّجاء يُفْصِح عَن خلوِّ قلوبِ الغافلينَ مِنَ الخوفِ والأَمَلِ

عبَّر النَّظم الجليلُ بفِعْلِ الرَّجاء، في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؛ لدلالَتِه على ترقُّب الخَيْر وتوقُّعه، أي: ما لَكُم لا ترجونَ مِن اللّه تَعالى ثوابًا، ولا تخافونَ عقابًا، فإنَّهم لمّا لَم يَعْبُدوه؛ دلَّ على انتفاء رجائِهِم ذلك[4]، وجاء التَّعبيرُ بالفعل المضارعِ المنفيِّ؛ للدَّلالة على تجدُّد انتفاءِ رجائِهم ودوامِه.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في جُمْلَةِ الاستفهامِ:

إنكارُ انتفاءِ الرَّجاء حثٌّ عَلى الإيمانِ

في قول اللّه تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ كنايَةٌ تلويحيَّةٌ عَن الحثِّ على الإيمانِ وعبادةِ اللّهِ تَعالى الموصِلَةِ إلى الخَيْر الذي يَسْتَلْزِمُ رجاءَ ثوابِهِ وخوفَ عِقابِه؛ لأنَّ مَن رجا تعظيمَ اللّهِ تَعالى

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 254.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 199.
(3) قباوة، المفصّل في شرح الجلالين، ص: 2022.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 199.

إيّاه آمَنَ به، وعَبَدَهُ، وعَمِلَ الصّالحات[1]، وأنْكَر ما هو عليهِ مِن عنادٍ وإصرارٍ على الباطلِ[2].

دلالةُ تعلُّق الجارّ والمجرور وأثرُهُ على مَعْنى اللّام:

الوقارُ حقٌّ لله تَعالى، والكافرُ جاهِلٌ بحقِّ اللهِ تَعالى

يجوز في شبه الجملة الشَّريفة ﴿لِلَّهِ﴾، في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أن تكون متعلِّقة بفِعْلِ الرَّجاء، أي: لا ترجونَ لأجْلِ اللّه تعالى وقارًا، ويجوز أن تكون شبه الجملة متعلِّقةً بقوله: ﴿وَقَارًا﴾، فتكون اللّام بمعنى شِبْهِ المِلْك، أي: لا ترجون الوقارَ الذي هو حقٌّ للّه، أو تكون اللّامُ للتَّقوية، فتفيدُ إيصالَ الفِعْلِ إلى شِبْهِ الجُمْلَةِ وتأكيدَهُ، أي: لا ترجون توقيرَ اللّهِ وخَشْيَتَه[3]، ويجوز أن تكون اللّام لابتداء الغاية المكانيَّة المعنويَّة بمعنى (مِن)، والمعنى: مِنْ عندِ اللّهِ وبأمْرِه[4]، وهذه المعاني لا تنافيَ بينَها، بل بعضُها يُكَمِّلُ الآخَرَ، ويُقَوّيه، ممّا يُثْري المعانيَ القرآنيَّةَ.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالاسْمِ الأحسَنِ (الله):

ذِكْرُ اللهِ تَعالى يَقْتَضي التَّوقيرَ والتَّقْديسَ ونَبْذَ الشَّريكِ

عبَّر النَّظم الجليلُ بالاسْمِ الأحسَنِ (اللّه)، في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾، الدّالِّ على التَّعظيم والجلالِ وكَمالِ المِلْك[5]، وذلك لتهويلِ شَناعَةِ مَعْصيَتِهم وانتفاءِ رجائِهم وتوقيرِهم للّهِ تَعالى.

دلالَةُ التَّعبير بالوَقارِ، ونُكْتَةُ تَنْكيرِه:

التَّوقيرُ حقٌّ لعظمةِ الله، وليسَ للكافر حظٌّ منهُ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالوقارِ، في قوله جلَّ شأنه: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾؛ لدلالته على التَّعظيم الذي يَقْتَضي الإجلالَ[6]، فنفى عَنْهُم تعظيمَ اللّه تعالى الذي يَجِبُ على عِباده، ومِن انتِفاء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 200.
(2) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 29/ 191.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 200 - 201.
(4) قباوة، المفصّل في شرح الجلالين، ص: 2022.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 439.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 199.

تعظيمهِ تَعالى عدَمُ خوفِهم مِنَ الإهانَةِ بالعِقاب؛ وذلك بإنكارِهم الحسابَ بعدَ البَعْثِ، ومن صوَرِ انتفاءِ تعظيمِ اللّه تعالى: عدَمُ توقيرِ رسلِهِ بتركِ تَصْديقِهم والإيمانِ بِما أُرْسِلوا بِهِ والعمَلِ بمقتضاهُ، وقد جاء التَّعبيرُ بتنكير ﴿وَقَارًا﴾؛ للدَّلالة على انتفاءِ الوقار على وجه العموم، أي: ليس لهم توقيرٌ للّهِ أيَّ توقيرٍ وإن كان ضئيلَ القَدْرِ، فإنَّ قليلَهُ أَكثرُ مِن كثيرِ غيرِه وأفضَلُ[1]، ووجهُ إفادَةِ العمومِ ورودُ النَّكرةِ في سياقِ النَّفْي، وذلك من ألفاظِ العموم.

بلاغَةُ الكِنايَةِ في لَفْظِ الوقارِ:

إنكارُ العاقِبَةِ ونفيُ إثباتِ وحدانيَّةِ اللهِ تعالى موجِبٌ التَّوبيخَ

على تأويلِ الوَقار بالعاقِبَةِ، بمعنى: ما لَكُم لا تَرْجونَ للّهِ تَعالى عاقبَةً، أي: عاقبَةَ الإيمان، يكونُ الكلامُ كنايَةً عَنِ التَّوبيخ على تَرْكِهِم الإيمانَ باللّهِ تَعالى، وكذلك الشَّأنُ في جَعْلِ الوقار بمعنى الثَّبات، كقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: 33]، أي: اثْبُتْنَ، ومعناه: ما لكُم لا تثبتون وحدانيَّة اللّهِ[2].

دلالَةُ افتِتاح جملة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ﴾ بالواوِ:

النِّعمة قائمَةٌ، لَكِنَّ شُكْرَها مِن الكافرِ مَفْقودٌ

افتتحَ النَّظمُ الجليلُ قولَه جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ بالواو الحاليَّة، أي: لا ترجون ذلك حالَ كونهِ تَعالى قد مَنَّ عليكم بالخَلْقِ على أطوارٍ مختلفَةٍ وصفاتٍ متفاوتَةٍ وحالاتٍ متنوِّعة[3]، فهذا الحالُ يبيِّن كمالَ النِّعمة مُفْصِحًا عن شناعَةِ الإعراضِ عَن عِبادَتِه واستِغفارِه بالتَّوبة إليه.

سرُّ التَّعبير بـ (قد):

تحقيقُ الخَلْقِ، وتقريرُ النِّعمة

عُبِّر بحرف التَّحقيق (قد)، في قوله تَعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ لبيانِ أنَّه تعالى قد سبَقَ إحسانُه إليكُم، وتحقَّقَ بالخَلْقِ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 439.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 200.
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 254.

والإيجاد، وهو ما لا يَقْدِرُ عليه أحَدٌ سِواهُ[1]، فذلك تقريرٌ لَهُم بكمال القدرة، تلك التي أنتُم بعضٌ مِن آثارِها.

دلالَةُ التَّعبيرِ بالخَلْقِ مادَّةً وصيغَةً:

الإيجادُ مِنَ العدَمِ عِظَةٌ قائمَةٌ في كُلِّ نَفْسٍ

جاءَ التَّعبيرُ بلفظ الخَلْقِ، في قوله سُبحانَهُ: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾؛ للدَّلالة على أنَّه تعالى قد أوْجَدَهُم مِنَ العدَم[2]، فتَذْكيرُهُم بكَوْنِهِم كانوا عدمًا - وهو قد أوْجَدَهُم - أبلَغُ في الوعظِ، وأنفعُ في إيقاظِهِم مِن غَفْلَتِهم، وجاء التَّعبيرُ بالفعلِ الماضي؛ للدَّلالة على تحقُّقه وحصولِهِ بحيثُ يكونُ دليلًا يُحْتَجُّ به وبرهانًا قائمًا للحقِّ.

دلالَةُ التَّعبير بضميرِ المُخاطَب:

قَصْدُ الكافر بالخِطاب تأكيدٌ لمَضْمونِ الوَعْظِ

أوقع النَّظم الجليلُ فِعْلَ الخَلْقِ على المخاطَبين، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، وهو قد خَلَقَ النّاسَ كُلَّهُم كذلك؛ لأنَّه أراد محاجَّتَهُم بِما هُم عليهِ، وتقريرَهُم بحالِهِم وكيفيَّةِ خَلْقِهم، وتذكيرَهُم بأنَّهم مِن خَلْقِه، وأنَّهم كانوا عدمًا، فتخصيصهُم بالخطابِ أبلَغُ في الوَعْظِ والإنكارِ.

دلالَةُ التَّعْبير بالأطوارِ مادَّةً وصيغَةً:

أطوارٌ عديدَةٌ، ومراحِلُ تَشْهَدُ عَلى الصَّنْعَةِ

عبَّر البيانُ القرآنيُّ بالأطوار، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾، بمعنى: أنَّه خلقَكُم تارةً بعد تارةٍ، وهوَ إشارةٌ إلى مضمونِ قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج: 5][3]، فالطَّور هو التّارةُ، وهي المرَّة مِنَ الأفعالِ أو الزَّمان، فهو تعبيرٌ عمّا يَحْصُل في المرّات والأزمانِ مِن أحوالٍ مختلفَةٍ في خَلْقِ الإنسانِ[4]، أي: إنَّكم تَعْلَمون أنَّ الله تعالى قد خَلَقَكُم، وقَدَّرَكُم حالًا بعد حالٍ، عناصرَ ثمَّ أخلاطًا ثُمَّ نطفةً ثُمَّ علقَةً ثمَّ مضغَةً، ثمَّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 440.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 20/ 441.
(3) الراغب، المفردات: (طور).
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 201.

عظامًا ولحومًا، ثُمَّ جَعَلكم خلقًا آخر، وجاء التَّعبيرُ بصيغَةِ الجَمْعِ والتَّنكيرِ؛ للدَّلالة على اختلافِ الأطوار وتنوُّعها وكثرتِها، فَهُم في صفاتٍ مُتَباينَة وحالاتٍ مختَلِفَةٍ[1].

بلاغَةُ التَّعريض في لفظِ الأطوار:

عـــدمُ إدراكِ إعجازِ الخالقِ في الـنَّـفـس دليلُ الغَفْلَةِ والـتَّـمـادي في الكُفْر

في وَصْفِ كونِ خَلْقِهم أطوارًا تعريضٌ بكُفْرِهم النِّعمةَ؛ لأنَّ الأطوار التي يعلمونَها دالَّةٌ على رِفْقِه سُبحانَهُ بهم في ذلكَ التَّطوُّر، ودالَّةٌ على حكمَةِ الخالقِ وعِلْمِه وقُدْرَته، فإنَّ في بقاءِ الذّات واحدةً على الرُّغم من تطوُّر الخلقِ مِن طَور النُّطفة إلى طورِ الشَّيخوخة ثُمَّ المَوْتِ ثُمَّ فناء الأجساد بعدَ الموت؛ لَدليلًا على كمالِ الخالقِ في الخلقِ والتَّبديل في الأطوار، وهُم يُدْرِكون ذلك بأَدْنى التِفاتِ الذِّهن، فكانوا مَحْقوقين، بأنْ يَتَوَصَّلوا به إلى معرفةِ عظمَةِ اللّهِ تَعالى وتوقُّع عقابه؛ لأنَّ الدَّلالة على ذلكَ قائِمَةٌ بأَنفُسِهم[2].

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 30/ 254 - 255.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 201.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"